دراسة الملجأ عند إرفينغ غوفمان (Asylum)

تمهيد:

تُعد دراسة إرفينغ غوفمان

الصادرة سنة 1961 من أبرز الأعمال الكلاسيكية في علم الاجتماع "Asylums" الحديث، حيث شكلت منعطفًا مهمًا في تطور التيار التفاعلي الرمزي .جاءت هذه الدراسة في سياق اهتمام غوفمان بفهم الحياة اليومية داخل المؤسسات المغلقة، وخاصة تلك التي تُمارس شكلاً مكثفًا من السلطة والتنظيم على الأفراد .وقد اعتمد فيها على ملاحظة ميدانية داخل مستشفى للأمراض النفسية، ما جعلها دراسة نوعية بامتياز تكشف البنية الخفية للعلاقات الاجتماعية داخل المؤسسات

الإشكالية:

تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية تتمثل في طبيعة تأثير المؤسسات الكلية على هوية وسلوك الأفراد .ويتساءل غوفمان :كيف تعيد المؤسسات المغلقة تشكيل شخصية الفرد؟ وكيف تتحول الهوية من كونها بناءً اجتماعيًا حرًا إلى هوية مقيدة داخل نظام إداري صارم؟ كما تطرح الدراسة سؤالًا أعمق حول كيفية ممارسة السلطة داخل الحياة اليومية، ليس فقط عبر القوانين الرسمية، بل عبر الروتين والتفاصيل الصغيرة التي تُنظم حياة الأفراد

مكان الدراسة:

أجريت الدراسة داخل مستشفى للأمراض النفسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو نموذج لما يسميه غوفمان "المؤسسة الكلية ."هذا النوع من المؤسسات يتميز بأنه يجمع مختلف أنشطة الحياة)النوم، الأكل، العلاج، العمل (داخل فضاء واحد مغلق، وتحت

نظام إداري صارم .اختيار هذا المكان سمح بتحليل دقيق لكيفية اشتغال السلطة داخل فضاء معزول عن المجتمع الخارجي.

المنهج:

اعتمد غوفمان على المنهج الكيفي)الإثنوغرافي(، من خلال الملاحظة بالمشاركة .وقد مكّنه هذا المنهج من الاندماج داخل المؤسسة لفترة طويلة، مما سمح له بفهم التفاعلات اليومية بين المرضى والعاملين .هذا النوع من المنهجيات لا يكتفي بوصف الظواهر، بل يسعى إلى فهم المعاني التي يعطيها الأفراد لتجاربهم داخل المؤسسة.

أدوات الدراسة:

اعتمد الباحث على الملاحظة المباشرة، الملاحظة بالمشاركة، المقابلات غير الرسمية، وتحليل التفاعلات اليومية .كما ركز على ما يسميه "التفاصيل الصغيرة "للحياة اليومية، باعتبارها مفاتيح لفهم البنية العميقة للمؤسسة .هذه الأدوات سمحت له بكشف الفجوة بين الخطاب الرسمي للمؤسسة والتجربة الفعلية للأفراد داخلها.

مفاهيم الدراسة:

تقوم الدراسة على مجموعة من المفاهيم الأساسية، أبرزها

المؤسسة الكلية:"التي تشير إلى فضاء مغلق يتم فيه تنظيم حياة الأفراد بشكل شامل . كما يبرز مفهوم "الهوية الاجتماعية "الذي يتعرض لإعادة تشكيل داخل المؤسسة .

إضافة إلى مفهوم "التجريد من الهوية "الذي يصف عملية تحويل الفرد إلى حالة أو رقم داخل النظام .كما يتناول مفهوم "الطقوس اليومية "التي تعكس الروتين الصارم، ومفهوم التكيف والمقاومة "الذي يصف استراتيجيات الأفراد في مواجهة القيود"

أهم النتائج:

توصل غوفمان إلى أن المؤسسات الكلية لا تؤدي فقط وظيفة تنظيمية أو علاجية، بل تقوم أيضًا بإعادة إنتاج الهوية الاجتماعية للأفراد .حيث يتم تجريدهم تدريجيًا من هويتهم السابقة وإعادة تشكيلهم وفق منطق المؤسسة

ومع ذلك، أظهرت الدراسة أن الأفراد ليسوا سلبيين بالكامل، بل يطورون أشكالًا من التكيف والمقاومة الرمزية، مثل بناء علاقات داخلية أو تجاوز بعض القواعد بشكل غير مباشر

كما أبرزت الدراسة أن السلطة داخل هذه المؤسسات تمارس من خلال الروتين اليومي وليس فقط عبر العقاب المباشر.

خاتمة:

تؤكد دراسة غوفمان أن المؤسسات الحديثة تمارس تأثيرًا عميقًا على الأفراد من خلال تنظيم تفاصيل حياتهم اليومية، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج الهوية والسلوك الاجتماعي . وتظل هذه الدراسة مرجعًا أساسيًا في علم الاجتماع التفاعلي، لما تقدمه من تحليل دقيق للعلاقة بين الفرد والمؤسسة والسلطة.

مراجع مختصرة

Goffman, Erving. Asylums (1961).